الفصل الخامس

علم اللغة وعلوم اللغة وفقه اللغة
ودلالة مصطلحاتها فى التراث

obeikandl.com

obeikandl.com

علم اللغة وفقه اللغة فى التراث

قدم علماء العربية دراسات ومباحث تحت عنوان «فقه اللغة».

فمن المؤلفات التى تحمل هذا العنوان : كتاب الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها لأبى الحسين أحمد بن فارس(١). وكتاب فقه اللغة وأسرار العربية للإمام أبى منصور الثعالبى(٢).

وكذلك قدموا مباحث تحت عنوان «علوم اللغة» مثل : «كتاب المزهر فى علوم الغة وأنواعها للعلامة جلال الدين السيوطى(٣)..

واستعملوا كذلك مصطلح لغة ولغوى وعلم لغة، فمن أقوالهم مثلا، فلان شدت إليه الرحال طلباً للغة، وفلان من المبرزين فى اللغة والنحو..

وصنفوا طبقات اللغويين والنحاة ومن المؤلفات فى ذلك طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى الأندلسى.

غير أن مفهوم هذه المصطلحات عندهم «فقه اللغة – اللغة – اللغوى – علم اللغة» تختلف فى دلالتها عن مفهومنا لها اليوم.

فمفهوم اللغوى عندهم هو المهتم بالمفردات اللغوية ما بين جمع وتبويب وشرح وأخذ وعطاء وتلقين وتلقى فمثلا على بن زيد الفصيحى من أشهر تلامذة عبدالقاهر الجرجانى فى اللغة وقد سمى الفصيحى لكثرة

---

(١) منه طبعة فى بيروت سنة ١٩٦٤م/١٣٨٣هـ ملتزم الطبع والنشر مؤسسة أبدران، حققه وقدم له د. مصطفى الشويمى.

(٢) تمام إسمه : أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى المتوفى سنة ٤٣٠هـ، أنظر طبعة المطبعة العمومية بمصر.

(٣) المولود سنة ٨٤٩هـ، والكتاب فى جزءين ومنه طبعات مختلفة، طبعة مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥هـ.

إعادته ودرسه الفصيح وأخذ عنه جماعة منهم أبو نزار النحوى وأبو الفوارس الصيفى الشاعر الملقب بحيص بيص(١).

وقد ظل هذا الاتجاه هو الغالب فى التراث حتى عهد متأخر فنجد مثلا ابن خلدون يتحدث فى مقدمته عن علم اللغة من بين علوم اللسان العربى ويقصد به علم (مفردات اللغة) أو معاجم اللغة وقواميسها.

والأمر فى حاجة إلى وقفة متأنية يصور من خلالها بعض الأحكام التى ربما خالفت المألوف لدى الدارسين.

ولكتاب ابن فارس(٢) «الصاحبى فى فقه اللغة» أهمية خاصة فى نظرنا وذلك لأنه أول مصنف حمل «اسم فقه اللغة» أضف إلى هذا أن الكتاب من أواخر ما ألف ابن فارس فقد كتبه سنة ٣٨٢هـ بعد أن بلغ من العمر ست وسبعين عاماً أى قبل وفاته بثلاثة عشر عاما بعد أن صنف فى هذا الصدد عدة مؤلفات وتحدد فى ذهنه المفهوم العام لهذا المصطلح الذى اختاره ليطلقه على كتابه «فقه اللغة(٣) وسنن العرب فى كلامها» والذى تنبئ عنه رؤيته الذى يرى فيها أن : علم العربية ينقسم قسمين :

١ – قسم فرعى يختص بالكلمات أو المفردات.

٢ – وقسم أصلى أساسه النحو والصرف.

كما نلاحظ فى كتابه الإكثار من الشواهد القرآنية وكأنه يريد أن

---

(١) أنظر : عالم اللغة ومراجعه.

(٢) المولود سنة ٣٠٦هـ والمتوفى سنة ٣٩٥هـ. ونرى أنه صاحب إتجاه فى هذا الصدد تكشف عنه مؤلفاته على نحو ما سيتضح.

(٣) فى معجم مقاييس اللغة لإبن فارس فى مادة (فقه) تقول فقهت الحديث أفقهه، وكل علم بشئ فهو فقه، يقولون لا يفقه ولا نقه.. وأفقهتك الشئ إذا بينته لك، (فالفقه هو العلم وفقه اللغة عنده هو علم بها).

يبين من خلالها سنن العرب فى كلامها، وهو بقية العنوان الذى اختاره لكتاب «فقه اللغة وسنن العرب».

وقد دار كتاب فقه اللغة هذا لإبن فارس حول موضوعات يمكن أن نستشف منها حدود وأبعاد مفهومه لهذا العلم الذى اختار له هذا الإسم وأطلق عليه مصطلح فقه اللغة وباستعراضها نجد أن موضوعات الكتاب متفرقة منها :

* موضوعات عامة متصلة باللغة العربية أتوقيف هى أم اصطلاح وهل يمكن الإحاطة بها ؟

كما يتحدث عن فصيح اللغات وقبيحها، ومدى اختلافها، وتطور اللغة بالإسلام.. وموضوعات كثيرة جاءت على هذه الشاكلة.

* كما نجد فيه مباحث لموضوعات نحوية وصرفية، فمثلا يتحدث عن حروف المعانى ووجوهها.. وموضوعات على هذه الشاكلة ترتبط بهذه المباحث بسبب ما.

* ونجد قسما ثالثاً يعرض للتركيب وطرائق التعبير.

* ثم نجد قسما غير الذى سبق يعرض للشعر ولكن فى إيجاز.

والشئ الذى يلاحظه الدارس أن مباحث ابن فارس كانت ذات اتجاه مشابه عند معاصريه(١) ومن أتوا بعده. فمثلا موضوعات النوع الأول وهى الموضوعات العامة نجد لها مثيلا فى كتاب الخصائص لإبن جنى(٢) ففى الخصائص مثلا : المباحث الآتية :

---

(١) يرى بعض المدققين فى اللغة أن الصواب أنه يقال مزامنه أى الذي عاش فى زمانه لا معاصره. وهو ما نوافق عليه ولكننا آثرنا الشائع على المهجور.

(٢) المتوفى سنة ٣٩٢هـ، وقد قيل إن الخصائص من إملاء أبى على.

أصل اللغة – مقاييس العربية – تعليل اللغة – القياس – الاشتقاق.. وغير ذلك من الموضوعات التى على هذه الشاكلة.

وأما مباحث النوع الثانى التى تتحدث عن الحروف وعللها وزيادتها فلها شبيه فى سر صناعة الإعراب لإبن جنى أيضاً.

أما مباحثه عن حروف المعانى ومعانيها ووجوهها فقد عالجها من قبله علماء العربية ولها شبيه عند معاصريه وأخذت مداها من بعده واكتمل نضجها إتساعاً وعمقاً على يد ابن هشام فيكتابه «المغنى».

وعندى أن كتاب الصاحبى تبلور فيه إتجاه خاص عند ابن فارس يفهم منه مقصوده من مصطلح فقه اللغة.

بدليل أن لإبن فارس كتباً أخرى تحمل كلمة اللغة من بينها مثلا:

١ – كتاب المجمل فى اللغة(١).

٢ – كتاب مقاييس اللغة(٢).

٣ – كتاب مسائل فى اللغة. كما أن له كتاب عنوانه:

٤ – تمام فصيح الكلام(٣).

٥ – وكتاب الإتباع والمزواجة(٤).

---

(١) طبع الجزء الأول منه سنة ١٣٣١هـ.

(٢) حققه أستاذنا عبدالسلام هارون فى ستة أجزاء وصدر سنة ١٣٦٦هـ.

(٣) نشره المستشرق "Arberry" مصورا بلندن سنة ١٩٥١م وهو كتيب قال عنه ياقوت فى معجم البلدان ج٧ ص ٣٣٩ أنه انتسخ فى مدينة مرو سنة ٦١٦هـ من نسخة مخطوط عليها خط المؤلف نفسه مكتوبة بمدينة المحمدية بالرى سنة ٣٩١هـ/١٠٠١م أو ٣٩٣هـ/١٠٠٢م أى قبل وفاة المؤلف بحوالى عامين.

(٤) أنظر : من مصنفات الثروة اللفظية ص ٤٨ حيث عرضنا للحديث عن رأيه ومنهجه فى الإتباع، ومن كتاب الإتباع والمزاوجة نسخة بدار الكتب المصرية وقد نشره المستشرق Rbrunnow سنة ١٠٩٦م بمدينة «Glessonn».

وكتابه «المجمل» معجم مختصر ألفه لكى يعين الطالب على التخلص من عناء المعاجم ذات الطول المفرط أو النقص المخل، وقد توخى فيه الصحيح كصنيع معاصره الجوهرى، ورتبه على الحرف الأول للأصل والحرف الذى يليه فى الأبجدية. وقد ذكر فى مقدمته مصادره التى اعتمد عليها ومنها الخليل والكسائى والفراء والأصمعى وأبوعبيد القاسم ابن سلام، وابن الأعرابى، وثعلب، والمبرد، والقتيبى، وابن دريد.

وأما كتابه «مقاييس اللغة» فقد حاول فيه أن يرجع جميع الكلمات الواردة تحت أصل من الأصول إلى معنى واحد أو أكثر فى بعض الأحيان وقد رتبه على حرف المعجم بالنسبة للحرف الأول والذى يليه. وهو يبدأ بالثنائى، ثم الثلاثى، ثم مازاد على ذلك وأسهب فيه فى توضيح ما يراه خاصاً بالنحت خلال عرضه للأصول الزائدة على ثلاثة أحرف.

أما كتابه «فصيح الكلام» فهو من الكتيبات الصغيرة الحجم التى عالج فيها بعض المسائل التى تتصل بفصيح اللغة والأفصح فيها.. وهكذا.

فلفقه اللغة عند ابن فارس إذن مفهوم غير مفهوم اللغة.

إن فقه اللغة عنده هو الذى يعرض للقضايا التى رأينا أبعادها فى كتابه الصاحبى فى فقه اللغة.

أما مفهوم اللغة عنده فقد حددتها بقية كتبه التى تحمل عناوين متصلة باللغة وهدفها البحث فى الألفاظ من حيث الدلالة والأصول والنحت والغريب(١).. إلخ.

---

(١) كتاب الغريب المصنف فى اللغة ألفه أبو عبد القاسم بن سلام وهو أسبق من ابن فارس حيث أنه توفى سنة ٢٢٤هـ.

أما كتاب الثعالبى وهو الإمام أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩هـ وهو «فقه اللغة وأسرار العربية» فقد فهم من فقه اللغة دراسة المفردات العربية دراسة دلالية محددة وهى ترتيب الكلمات فى مجموعات وفق معناها وقد دار القسم الأول من كتابه حول هذا. أما القسم الثانى منه فقد جعله للحديث عن سر العربية فى مجارى كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن الكريم على أكثرها، فهو لم يختر الإسم وفقاً لخطة كإبن فارس وإنما يحدثنا بأن كتابه «فقه اللغة» إنما تسمى بهذا الإسم وفقاً لاختيار الأمير الذى أهداه إليه فدل ذلك على أن المنحى الذى سلكه فى تأليفه لم يكن جرياً على خطة اتفق عليها الباحثون فى ذلك الحين»(١).

وتخلص إلى أن لفقه اللغة مباحثه وقضاياه عند ابن فارس وهى القضايا العامة التى تتصل باللغة.

أما مباحث اللغة فهى المباحث التى تتصل بالمفردات وبالثروة اللفظية عموماً.

جاء فى كتاب مفتاح السعادة تعريفاً بعلم اللغة يقول فيه : «علم اللغة علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيآتها الجزئية التى وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصى، وعما حصل من تراكيب كل جوهر وهيئاتها الجزئية على وجه جزئى وعن معانيها الموضوعة لها بالوضع الشخصى»(٢).

---

(١) مقدمة لدراسة فقه اللغة. د. محمد أحمد أبو الفرج أولى ٦٦ ص ١٢ ـ النشر الفنى فى القرن الرابع للدكتور زكى مبارك - الجزء الثانى - ط. المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٩٥٧، ص ٣٧.

(٢) مفتاح السعادة - تأليف طاش كبرى زاده (متوفى سنة ٩٦٨هـ) جـ أ، ص ١٠٠.

وحدد موضوع هذا العلم بقوله : «وموضوعه جواهر المفردات وهيئاتها من حيث الدلالة على المعانى الجزئية».

«وغايته الاحتراز عن الخطأ فى فهم المعانى الوضعية والوقوف على ما فهم من كلام العرب»(١).

ويفرق السيوطى بين وظيفة اللغوى ووظيفة النحوى فيقول :

«اعلم أن اللغوى شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه. وأما النحوى فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوى ويقيس عليه(٢).

وسنشير فى إيضاح إلى هذين البعدين :

١ - مباحث فقه اللغة.

٢ - مباحث متن اللغة والثروة اللفظية والمعاجم.

---

(١) السابق، ويذكر بعض المؤلفات فى علم اللغة ويقول : «ومن بين الكتب المختصرة فى علم اللغة كتاب العين للخليل».

(٢) المزهر للسيوطى ح١، ص ٥٩، وفى ح١ ص ٢٥ يشير إلى علم اللغات ويعنى به البحث فى أصل اللغات ونشأتها... إلخ.